

— الرئيس : وحسن الأدب وسوء الأدب في التاريخ السياسي

تفاهم المشكلة الإسبانية

ألمانيا تكرر محاولة أغادير

بقلم باحث دبلوماسي كبير

يظهر أن أخطار المشكلة الإسبانية لن تقف حد ؛ فقد بدأت الثورة الإسبانية في أواخر يولييه الماضي حرباً أهلية ، ولكن عوامل التدخل الدولية التي سببتها منذ قيامها لم تلبث أن غلبت على صفتها المحلية الداخلية ، فهي اليوم حرب دولية في الأراضي الإسبانية ، يستتر فيها فريق الدول الفاشستية وراء الجنرال فرانكو زعيم الثورة ، وتستتر الدول الديمقراطية وراء حكومة مدريد ؛ وقد كان هذا الاستتار شفافاً في البداية يتم على حركات الدول المختلفة ؛ ولكنه بفضح اليوم عن كل شيء بجلاء ؛ وتبدو الدول المتدخلات ولا سيما ألمانيا وإيطاليا والسوفييت في الميدان بكل جرأة ؛ وتتفاخر الأسلحة والذخائر والتجندات الأجنبية إلى الفريقين المتحاربين بلا انقطاع

فهذه الصورة الدولية التي أسبغها التدخل الأجنبي على الحرب الأهلية الإسبانية تندو اليوم بالنسبة لأوروبا بركاناً بضارم بمختلف المفاجآت والأخطار ؛ وقد كان آخر طور من أطوارها الخطرة تفاهم التدخل الألماني وظهور ألمانيا في سياستها الإسبانية بمظهر زعيم الدول الغربية وبشير كل مخاوفها . ذلك أنها لم تكف بإرسال السلاح والذخيرة والتطوعين إلى جبهة الثورة ، ولكنها بثت بقسم من أسطولها إلى المياه الإسبانية الشمالية وأخذت سفنها الحربية تمتد تباعاً على السفن الإسبانية الجمهورية بحجة الانتقام لحادث الباخرة « بالوس » ؛ وفي الأنباء الأخيرة أن قوة عسكرية ألمانية نزلت في مرا كفس الإسبانية ، وأنه شرع في بناء الشكنات اللازمة لأيوائها مما يدل على أنها ستمكث هناك طويلاً ؛ وأن قوات أخرى نزلت في قانس لنجدة الجبهة الثورية

وقد كان تدخل إيطاليا وألمانيا في الحرب الإسبانية على هذا النحو يزعم الدول الغربية منذ البداية ؛ بيد أنه يلوح لنا أن السياسة الإيطالية أخذت على أثر تفاهمها مع انكلترا مخفف نوعاً

الموضوع للوضع
— الحماية : لا والذي شرفكم بشرف الحكم يا حضرات المستشارين . ما يرى القلب للسكين في حبيته إلا تعبير الجمال ، فهو يفهمها فهم التعبير ككل موضوعات الفن . وما بينه وبينها إلا أن حقيقة الجمال تعرفت إليه فيها . أن أحسن الشاعر سرّاً من أسرار الطبيعة ، في منظر من مناظرها ، قلم أجرم وأثم ؟ هذا قلب ذو أفكار ، وسيله أن يمان على ما يتحقق به من هذا الفن . قد تقولون : إن في الطبيعة جمالاً غير جمال المرأة فليأخذ من الطبيعة وليط منها . ولكن ما الذي يجي الطبيعة إلا أخذها من القلب ؟ وما هي طريقة أخذها من القلب إلا بالحب ؟ وقد تقولون : إنه يتألم ويتمذب ، ولكن سلوه . أهو يتألم بأدراكه الألم في الحب ؛ أو بأدراكه قسوة الحقيقة ، وأسرار التمتع في الخير والشر ؟

إن شعراء القلوب لا يكونون دائماً إلا في أحد الطرفين : هم أكبر من الهم ، وفرح أكثر من الفرح . فإذا عشقوا تجاوزوا موضع الوسط الذي لا يكون الحب المعتدل إلا فيه ؛ ومن هذا فليس لهم آلام معتدلة ولا أفراح معتدلة هذا قلب مختار من القدرة البوحية إليه ، فالتى يجبالا تكون إلا مختارة من هذه القدرة اختيار ملك الوحي . وما بهذا قوتان في يد الجمال لأبداع أثر عظيم ملء قدرتين كلتاها عظيمة فأن قلم إن حب هذا القلب جريمة على نفسه ، قالت الحقيقة الفنية : بل امتناع هذه الجريمة جريمة إن خمسين وخمسين تأتي منهما مائة ؛ فهذا بديهي ؛ ولكنه ليس أبين ولا أظهر ولا أوضح من قولنا : إن هذا العاشق وهذه المشوقة يأتي منهما فن

قال صاحب القلب السكين : وانصرف القضاء الى عرفهم ليتداولوا الرأي فيما يحكون به ، وأومات لي الحماية الجميلة تدعوني إليها ، فهضت أقوم فاذا أنا جالس وقد اقتبعت من النوم ؟

سندريلا

(طنطا)

(جائزة) إن يحسن كتابة الحكم في هذه القضية خس نسخ من كتاب (وس القلم) . وترسل المقالات باحثنا إلى (طنطا) ، والبرعد إلى آخر شهر يناير هذا ، والشرط رضى الحكيم ومنهم صاحب القلب السكين وصاحبه

من هذا التدخل ، وأنا لاتفاق الانكليزي الايطالي (اتفاق
الجنرالان) على الاعتراف بالحقوق والمصالح المتبادلة في البحر الأبيض
المتوسط ، وعلى احترام الحالة الراهنة فيه كان ذا أثر كبير في
تعديل سياسة إيطاليا الاسبانية ، وقد ظهر هذا التحول واضحاً
في سحب إيطاليا لغواتها من جزيرة ميورقة ، وفي وقف
النجيدات التي كانت ترسلها تبعاً إلى جبهة الثوار ؛ هذا بينما يشتد
التدخل الألماني وبتفاهم ، ويعتد من أسبانيا نفسها إلى مرا كس
الاسبانية ؛ وكان المنتظر أن المجهود الذي تقوم به السياستان
البريطانية والفرنسية لحصر الحوادث الاسبانية في نطاقها المحلي
ودره أخطارها الدولية يسفر عن بعض النتائج الرضية ؛ ولكن
الدولتان الفاشستان هما إيطاليا وألمانيا لجأتا إلى المثل والتسويق
في الرد على هذا المسمى . وكانت المذكرة البريطانية الفرنسية
تقترح على الدول ذات الشأن أن تبذل مجهوداً مشتركاً لوقف
التدخل الدولي في شؤون أسبانيا الداخلية ، ومنع المعاونات
المسكرية عن الفريقين المتحاربين ، وترك المسألة الاسبانية بحماها
الأسبان فيما بينهم ؛ وقد أجابت روسيا وهي التي تؤازر حكومة
مدريد على هذا الاقتراح بالقبول ؛ ولكن إيطاليا وألمانيا هما
اللتان تؤازران فريق الثوار تمهلتا في الرد حتى تطورت الحوادث
الاسبانية على هذا النحو الخطر ، واستطاعت ألمانيا أن تمد الثوار
ببجيدات عسكرية كبيرة ؛ وأخيراً قدمت إيطاليا وألمانيا رديهما
وهما متحدثان في اللجة والموضوع ، وخلاصة رد الدولتين
الفاشستيتين هو أنه لا محل لاجراء المفاوضات الدبلوماسية للبحث
في هذا المشكل في حين أن هنالك لجنة خاصة للبحث في مسألة
عدم التدخل ، وأن منع التطوعين الآن معناه معاونة حكومة
مدريد التي تؤازرها قوات بلشفية كبيرة ، وأن التبعة في تفاهم
التدخل الأجنبي في أسبانيا ترجع إلى انكلترا وفرنسا لأنهما هما
اللتان اعترضتا منذ البداية على اقتراحات ألمانيا في وجوب منع
التطوعين الأجانب ؛ وتريد ألمانيا على ذلك أنها ترى بحسب المشككة
كلها لا بحسب بعض نواحيها فقط ، وأنها تحتفظ بحرية العمل
إذا لم تقبل وجهة نظرها

من القريب أن ألمانيا تقرر ردها بأرسال نجيدات جديدة
إلى أسبانيا ، وبإزالة بعض قواتها في مرا كس الاسبانية ، وإذا
كان ظهور الجنود الألمانية في أسبانيا وفي صفوف الجنرال
فرانكو قد أثار مخاوف انكلترا وفرنسا ، فإن ظهورها في
مرا كس الاسبانية بضاعف هذه المخاوف وبذكها ، وقد رأينا
الوزارة البريطانية تسارع بالاجتماع لبحث المشككة الاسبانية ،
ورأينا السياسة الفرنسية ، تضطرب لهذا التطور الزعج في الشؤون
الاسبانية . ولكن تقدر خطورة هذا الظرف يجب أن ترتد
بالذكرة إلى حادث مماثل وقع في ظروف مماثلة ، ذلك هو حادث أغادير
الشهير الذي كاد يثير ضرام الحرب بين فرنسا وألمانيا ؛ ففي أغسطس
سنة ١٩١١ ظهر في مياه أغادير المراكشية (وأغادير واقعة على المحيط
الاطلنطي) طراد ألماني ، وطلب التقيصر في نفس الوقت «مراكزا
لألمانيا تحت الشمس» واضطربت فرنسا لهذا الحادث واعتبرته
انتهاكاً لحقوقها التي كفلتها معاهدة الجزيرة والتي عقدت بين الدول
العظمى ومنها ألمانيا ، ونصت على أن تحفظ النظام في مرا كس
هو من شأن فرنسا وأسبانيا وحدهما ؛ واشتد توتر العلاقات بين
الدولتين يومئذ ولاح شبح الحرب بينهما في الأفق ؛ ولم تسحب
ألمانيا طلباتها ووعيدها إلا بعد مفاوضات طويلة شاقة ، وبعد
أن تنازلات لها فرنسا عن بعض أراضيها في الكونفو ؛ والآن
وقد بسطت فرنسا حمايتها على مرا كس ، ووطدت فيها مراكزها
وسلطاتها ، وأضحت جزءاً من امبراطوريتها الضخمة في شمال
إفريقية ، فإنها ترهب لأقل بادرة تهدد مرا كس أو أي جزء
آخر من أجزاء هذه الامبراطورية الثنية ؛ وقد كانت فرنسا
تنوحس جزءاً مذ قامت الثورة الاسبانية ، واضطربت شؤون
مرا كس الاسبانية التي تحم أملاكها من الشمال ، وأضحت منطقة
عسكرية خطيرة ؛ فالآن يزيد جزءها وتتضاعف مخاوفها إذ ترى
الجنود الألمان ينزلون في هذه المنطقة وبمسكرون في مليله على
مقربة من الحاية المراكشية

وهناك ما يدل على أن هذا الحادث يشبه حادث أغادير من
كل الوجوه . ذلك أن ألمانيا أثار حادث أغادير لأطامع
استعمارية ، واستفلت لأرضاء هذه المطامع ، وهي الآن تعيد
الكرة ، وتجيش بنفس الأطامع . وليس من المصادفات أن تنزل
الجنود الألمانية في مرا كس الاسبانية في نفس الوقت الذي
تتقدم فيه ألمانيا بمطالبها الاستعمارية إلى فرنسا وانكلترا بصورة
رسمية . وقد كانت ألمانيا تروج لطامعها الاستعمارية منذ أشهر
وينادي بها زعماء ألمانيا المسؤولون في شدة وصراحة ؛ وقد
أجابت فرنسا وانكلترا غير مرة على لسان ساستها وصحفها أنهما
لا تفكران في النزول عن شبر من الأرض لألمانيا ، ولكن

وتحدوها الى العمل المشترك بواعث مشتركة لا شك في خطورتها والمعروف ان ألمانيا منذ قيام الحرب الأهلية تنوى إلى استغلال هذه الأزمة الأوربية الجديدة لصالحها الخاصة ، وأنها تحوم حول مراكش الاسبانية وجزر الكناري ، كما أن إيطاليا كانت تحوم حول جزائر البليار ، ولكن إيطاليا انتهت إلى إدراك الحقائق الواقعة وآثرت أن تتفاهم مع انكارترا ، وأخذت في الوانع تخفف من تدخلها في المسألة الاسبانية وإن كانت في الظاهر تبدو مؤيدة لخطة ألمانيا . أما ألمانيا فقد اندفعت في خطتها إلى هذا المدى الذي يثير اليوم أزمة في منتهى الدقة والخطورة . وفرنسا لا يجهل البواعث التي تدفع ألمانيا إلى مثل هذه الغامرة ، وهي تدرك تمام الإدراك أن من ورائها المسألة الاستعمارية برمتها ؛ ولكنها على ما يفهم من تعليقات صحفها لا تنوى أن تنزل في هذا الوطن على وعيد ألمانيا ورغباتها ؛ وكل ما هنالك أنها لا تأبى أن تبحث المسألة الاستعمارية على ضوء جديد ، وأنها لا ترى مانعاً من تحقيق بعض رغبات ألمانيا في هذا السبيل إذا كانت ألمانيا تتعهد من جانبها بأن تقف عند هذا الحد من تحقيق مطالبها ، وأن تعود إلى حظيرة الدول الغربية لتعمل معها على تأييد السلام الأوربي ؛ ويقتضى ذلك أن تخفف ألمانيا من حدة العسكرية ، وأن تعمل مع الدول الأخرى على تخفيض سلاحها ؛ أما إذا كان قصد ألمانيا من الاستيلاء على المستعمرات هو بالمعكس استثمارها لتوسيع مشاريعها العسكرية ، فإن فرنسا تعارض كل المعارضة في استيلاء ألمانيا على شبر من الأرض يعاونها على تحقيق هذه الغاية . هذه هي النظرية الفرنسية كما تعرضها الصحف الفرنسية ؛ أما انكارترا فلم يتضح موقفها بمدى هذه المسألة تماماً ، وإن كان ساستها المسؤولون قد أكدوا غير مرة أنها لن تنزل عن شيء من مستعمراتها

ومن المحقق أن تطور هذه الأزمة الجديدة يتوقف إلى حد كبير على تطور الحوادث الاسبانية ذاتها ، وعلى نتائج العارك التي تضطرم حول مدريد ؛ فإذا كتب الفوز للثوار ، فإن ألمانيا تزداد إصرار في سياستها ومشاريعها ؛ وإذا كان الأمر بالعكس ، فمن المحقق أن هذه الغامرة الألمانية تنهار في مهدها وصنرى من جهة أخرى ماذا تستطيع الجهود السياسية أن تحقق في هذا السبيل

(***)

ألمانيا لم تنثن عن نداءها ومطالبها ؛ ومنذ أسابيع قلائل كان وزير الاقتصاد الألماني الدكتور شاخنت يكرر هذه المطالبة بعنف وشدة ويصرح بأن استعادة ألمانيا لمستعمراتها لم يبق مسألة كرامة فقط ، وإنما أصبحت ضرورة اقتصادية تزح ألمانيا تحت عوامها الرهقة ، وينذر أوروبا بالانفجار إذا لم تنط ألمانيا حقها من المستعمرات والمواد الخام ؛ ثم اتخذت ألمانيا بعد ذلك خطوتها الرسمية الأخيرة بتقديم مطالبها الخاصة بالمستعمرات إلى فرنسا وانكارترا ، مقرونة بمناوراتها البحرية في المياه الاسبانية الشمالية ، ومناوراتها العسكرية في شمال مراكش

فهل ترمع ألمانيا أن تستغل هذه المظاهرات العسكرية لتحقيق مطالبها الاستعمارية ؟ هذا ما نعتقد ؛ ولقد جرت ألمانيا النازية في العهد الأخير على سياسة المجازفة والوعيد والتظاهر ، وجنت ثمار هذه السياسة في نقض ميثاق لوكارنو ، وفي تسليح منطقة الرين الحرام ، وفي غيرها ، واستطاعت أن توقع بسياساتها الخلاف في صفوف الحلفاء السابقين ، واضطرت فرنسا أن تسلم بالأمر الواقع في هذه المسائل مع أنها مما عسى سلامتها ؛ فهل تنى فرنسا أمام الوعيد والتظاهر مرة أخرى ؟ هذا ما لا نعتقد ؛ ففرنسا تنظر إلى أعمال ألمانيا ومشاريعها في أسبانيا وشمال إفريقيا بمنتهى التوجس ؛ وألمانيا تصيب هنا نقطة حساسة جدا في السياسة الفرنسية ، وقد ظهر اهتمام فرنسا واضحاً في ذهاب وزير حربيتها إلى شمال أفريقيا ليتفقد أعمال الدفاع ، وفي حركات أسطولها حيث يجتمع وحدات كبيرة منه على مقربة من المياه الاسبانية ؛ وقد بادرت فرنسا بالاحتجاج لدى حكومة بوردجوس على السماح للجنود الألمانية بالنزول في مراكش طبقاً للاتص عايه معاهدة الجزيرة من تحريم مثل هذا الاجراء ؛ ومن المحقق أن فرنسا لن تتساهل على الاطلاق في مشاريع ألمانيا في هذه الناحية خصوصاً أن مراكش الاسبانية تقع وسط امبراطوريتها الافريقية كما أنها تشرف من جهة البحر على طريق فرنسا الامبراطوري ؛ وانكارترا لا تستطيع مثل فرنسا أن تتسامح في وجود الجنود الألمان في هذه المنطقة على مقربة من ثغر سبته الواجه لجبل طارق والذي يعتبر أهم من جبل طارق ذاته بالنسبة الاشراف على مدخل البحر الأبيض المتوسط ، وقد بدأت إنجلترا مثل فرنسا في حشد جانب كبير من أسطولها على مقربة من المياه الاسبانية ؛ فالسياسة البريطانية والفرنسية مجتمعتا هنا سياسة موحدة ،